

لبنان بين التصريف والتأليف والانفجار العنيف

عديد نصر
كاتب لبناني



في ما يشبه تحدي المهمة، وبعد ثلاثة أسابيع على تكليفه مهمة تشكيل الحكومة اللبنانية الجديدة، أصدر الرئيس المكلف حسان دياب بياناً يؤكد فيه على إصراره الاستمرار في العمل على تشكيل حكومته، حيث كانت عدة جهات تتوقع اعتذاره.

ثلاثة أسابيع حفلت بالكثير من الاتصالات والمشاورات في الغرف المغلقة، كما حفلت بما يشبه الوقفات اليومية الاحتجاجية على مدخل منزله تطالبه بالاعتذار والتراجع عن المهمة التي كلف بها من قبل رئيس الجمهورية بعد استشارات نيابية ملزمة تاخرت أكثر من 50 يوماً حصل فيها حسان دياب على تأييد نواب الثنائي الشيعي (حزب الله وحركة أمل) ونواب التيار الوطني الحر وحلفائهم، أي بنتيجة تأييد 69 نائباً، بعد أن امتنع الرئيس سعد الحريري عن ترشيح نفسه لهذه المهمة، نظراً إلى امتناع القوى ذاتها عن تأييد تشكيل حكومة تكنوقراط برئاسته.

هل التقط حسان دياب الإشارة، خصوصاً بعد الرد الشعبي العراقي العام يوم الجمعة الماضي على استباحة السيادة العراقية من إيران وأميركا في إصرار على إسقاط منظومة الفساد المتلحقة بالنظام الإيراني والمتحكمة بموارد العراق وبحياة العراقيين، حيث هبط ملايين العراقيين إلى ساحات بغداد والناصرية والبصرة وكربلاء وسواها من المدن العراقية يهتفون "لا أميركا ولا إيران.. العراق للعراقيين". وفي ظل استمرار تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعيشية وافتتاح أشكال وحالات الفساد المتفشى في دوائر الدولة ومؤسساتها كافة، والعجز المتفاقم عن تلبية حاجات المواطنين والإنهيار المتسارع للعملة الوطنية دون أي محاولة لإنقاذ القوة الشرائية للمواطنين وبالأخص الموظفين في مختلف الأسلاك ومنها الأمنية والعسكرية والتربوية، وفي ظل تطورات دراماتيكية تشهدها المنطقة، يصدر دياب بيانه في ما يتنبه التحدي للقوى السياسية ذاتها التي اختارته، يؤكد فيه على استمراره في الاتصالات وإصراره على تشكيل حكومته وفق "الإطار العام" المتفق عليه، مشيراً إلى الضغوط التي يتعرض لها والرضا التهويل وأن يكون موقع رئاسة الحكومة "مكسر عصاً".

يمكن القول إن إصدار حسان دياب لهذا البيان بعد هذا الصمت الطويل وبعد هذه المشاورات المتشعبة جاء ليقول إن الرئيس المكلف يقاوم ضغوطاً كبيرة عليه، وبالتالي إن تشكيل الحكومة يمر بأزمة، كما أن إصراره على المضي في تشكيل الحكومة لم يكن لولا تلقي الرئيس المكلف الإشارات التي توجي بدعم غير معلن من بعض الجهات الخارجية، واستتعاره أن المتغيرات الإقليمية سوف تساعد ولو بعد حين.

لكن اللبنانيين الذين يرون بأم العين كيف تنهار أوضاعهم بتسارع مخيف هم في مكان آخر، حيث لم يعودوا يطمحون انتظاراً. وما هم في حراكمهم الثوري اليومي مستثمرون، ولا تعرف بالتحديد متى تأتي اللحظة التي يشهد فيها لبنان الانفجار الشعبي الكبير الذي ربما يقبل الطاولة على الجميع.



التحاور بالصواريخ

وحث مقتدى الصدر الذي كان إلى ما قبل مقتل سليمان الكاظمي من وحماسة لطرد القوات الأميركية من العراق، والأشد تهديداً للجوء إلى "وسائل أخرى" لمقاتلة الأميركيين، تراجع هو الآخر عن بياناته الثورية الساخنة السابقة، وأعلن أن "أزمة العراق قد انتهت"، داعياً أشقائه في الحشد الشعبي وفصائل المقاومة "إلى الثبات والصبر وعدم البدء بالعمل العسكري".

والأغرب من الغريب أن كتائب حزب الله العراقي، الأكثر دموية واندفاعاً في ممارسة الطعن بالسكاكين، والخنق بقتال الغاز السام، والقتل والاعتقال، والتي نفذت الهجوم على المعسكر الأميركي في كركوك الذي تسبب بمقتل متقاعد أميركي، والذي أعقبه الرد الأميركي بالصواريخ على معسكراته ومقرات قيادته في الأنبار وسوريا، ثم اغتيال قاسم سليمان، ثم الرد الإيراني بالصواريخ العمياء غير الذكية، توصي "بمجاهديتها"، قائلة "في خضم هذه الظروف لا بد من تجنب الانفجارات لتحقيق أفضل النتائج المرجوة، وفي مقدمتها طرد العدو الأميركي".

ولعل هذا كله ما جعل الرئيس الأميركي ترامب يعلن أن "كل شيء على ما يرام". أجل فهذا هو المطلوب فهو قد اكتفى بجرة الأذن القوية لخامنئي، وبالصفعة المدخنة لوكلائه في العراق، وبالترحيل الأمن للمواجهة وبالارتفاع المفاجئ في شعبية في طهران إلى ما بعد الانتخابات الأميركية القادمة، وبالإجراج البين الذي أوقع فيه خصومه الديمقراطيين، وبالارتفاع الانتخابي، وقد صار في إمكانه الآن أن يتفرغ لمعركته الانتخابية بلا وجع رأس.

القوة الضاربة المباشرة وزمن أصحابها الأقوياء.

مناسبة هذا الكلام ليس فقط انكشاف هشاشة النظام الإيراني وتعاसे صواريخه التي كان قد هدد بأنها ستكون مزلزلة، وستعيد الجنود الأميركيين في توابيت إلى بلادهم، بل هو اعترافه بعجزه عن مواجهة كل هذه الجبهة الواسعة من أعدائه المحطين به، والمتربصين بانزعه التي أثبتت أنها لا تهش ولا تنش، عندما يجذ الجذ وتحين ساعة الحساب العسير.

فقد ثبت أنه أصدر تعليمات سرية عاجلة لقادة ميليشياته في العراق ولبنان بضرورة توخي الحيلة والحذر، وبالتبرؤ من كل اعتداء سابق على أي مؤسسة أو معسكر لذلك العدو المبدئ، أميركا، وإعلان التوبة عن القتل والاختطاف والاعتقال، وبالاعتناء والتخفي عن عيون الرقباء.

وتفصيلاً لتلك الأوامر سارعت عصاب قيس الخزعلي إلى إعلان براءتها من الهجوم على السفارة الأميركية في بغداد، فقد أعلن القيادي في العصاب، جواد الطليباوي، في تصريح نقلته وكالة الأنباء العراقية الرسمية، أن "الحديث عن استهداف الحشد للمنطقة الخضراء كلام عار عن الصحة وغير دقيق". مؤكداً أن "الحشد ليس لديه أي عمليات عسكرية ضد السفارة الأميركية أو غيرها من التواجد العسكري الأجنبي". ثم هاجم من قام بقصف المنطقة الخضراء بالصواريخ، مؤكداً أنه قد يكون "تصرفاً انفعالياً وفريداً، أو أنه محاولة من بعض الجهات لتشويه سمعة الحشد وخلق الأفرق".

ولكن مايك بنس نائب الرئيس الأميركي صرح قائلاً "إننا لا نزال نتلقى معلومات عن تراجع إيران، لكننا سننقى متيقنين تنفيذاً لتوجيهات الرئيس".

رأسه عصا غليظة تفقده النطق وتصيبه بالذهول. فحين يغضب الله على أحد، سواء كان شخصاً أو حزباً أو نظام حكم، يصيبه بلوثة جنون العظمة، ويدخل في عقله وقلبه الغطرسة وغرور القوة، لتحل عليه اللعنة في النهاية، ثم يبدأ مسيرة السقوط.

ويبدو أن الحكام الإيرانيين الذين أصابته تلك اللوثة قد آفاقوا، ولو متأخراً، على الحقيقة الموجعة، وفهموا أن زمن التهويش ونفش الريش قد انتهى وإلى غير رجعة.

الظاهر أن الإيرانيين فهموا رسالة الرئيس الأميركي دونالد ترامب النارية القاتلة وقرروا اعتبار صواريخهم العمياء على معسكر أربيل وعين الأسد آخر عهدهم بالجعجة الفارغة

وما هم يلففون شعارتهم، صدقا أو تقيّة، ويلبسون ثياب العقلانية والرغبة في السلام والمهادنة، بعد أن كانوا لا يتوقفون عن المفاخرة بأن إيران، على عهدهم، أصبحت قوة عظمى تملك القدرة على معاركة الكبار والصغار، وعلى الانتصار، ولا يكفون عن اعتداءاتهم وتحرشاتهم وابتزازاتهم وإهاناتهم لدول وشعوب في المنطقة والعالم، هازئين بالعدالة والأعراف الدولية وحقوق الإنسان، حتى جاءتهم صواريخ ترامب لتقول لهم إن زمن المهادنة والملاطفة والسماحة قد انتهى، وحل محله زمن

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي



من أهم التبدلات المهمة المثيرة المتوقعة التي أحدثتها مقتل قاسم سليمان في داخل جبهة النظام الإيراني، وبالتحديد في أعقاب الضربة الإيرانية الانتقامية الفاشلة، هو اختفاء العنجهية والمكابرة من لغة قادة النظام الإيراني العسكريين والمدنيين، وتوقفهم عن إطلاق الصواريخ الكالمة المجلجلة التي كانوا لا يتوقفون فيها عن الحديث عن انتصارات إمبراطوريتهم الفارسية العائدة بعد غياب طويل، وعن حدودها الجديدة الممتدة من شواطئ الخليج العربي وخليج هرمز، إلى شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر وخليج عمان، وعاصمتها بغداد.

فالظاهر أنهم فهموا رسالة الرئيس الأميركي دونالد ترامب النارية العمياء وقرروا اعتبار صواريخهم العمياء غير الذكية على معسكر أربيل وعين الأسد في الإنبار آخر عهدهم بالجعجة الفارغة، وآخر تهديداتهم بالنار لدماء القتيل، بعد أن كانوا، إلى ما قبل يوم الجمعة الماضي بساعات، يتسابقون إلى المباهاة والتهديد بجبروت فصائل الحشد الشعبي العراقي، وقوة سلاح حسن نصرالله، وشبحة بشار الأسد، وكتائب الحوثيين، ومقاومة خالد مشعل وإسماعيل هنية، والتي يؤكدون فيها أنها أذرعهم المسلحة الضاربة المتأهبة للزحف المقدس لمحو إسرائيل، وهزيمة أميركا، وطردها لا من العراق وسوريا وحسب، بل من الشرق الأوسط، ومن العالم كله، عن قريب.

وهذا هو دين كل حاكم غبي لا يعرف حذو ولا يقف عنده إلا بعد أن تهبط على

الطائرة الأوكرانية وجنون دولة الملاي

الإيرانية" بمعنى أن يغلق الفضاء على الإيرانيين. تلك دولة لا أمان لها. فهي من الممكن أن ترتكب من الجرائم ما لا يمكن توقعه وضد بشر أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم اقتربوا منها.

إيران، على غرار نظامها، هي دولة ممسوسة بالبشر ولا يمكن التعامل معها بنوايا حسنة. لا شيء إلا لأنها لا ترى في العالم الخارجي إلا عدواً. ومهما حاول الآخرون أن يهدنوا من روعها فإن توحشها يزداد ضراوة.

ما حدث للطائرة الأوكرانية المنكوبة يمكن أن يتكرر في أي لحظة. فإذ ما كانت إيران قد اعترفت رسمياً بمسؤوليتها عن إسقاط الطائرة المدنية، فإن ذلك الاعتراف انطوى على تبرير ملغى القى باللائمة على الولايات المتحدة التي هددت كما يقول بيان الاعتراف بأنها ستضرب الأراضي الإيرانية إذا ما لجأت إيران للانتقام لمقتل سليمان. ذلك عذر أقبح من ذنب كما يقال. وهو عذر ليس صحيحاً.

ما حدث يمكن أن يفتح صفحة جديدة عنوانها "حظر التحليق في الأجواء

من هذا القبيل يمكن أن يكون صحيحاً. إيران ليست دولة سوية. يكفي أن تكون دولة لولي الفقيه لكي يحكم عليها بالتحلف والانحطاط والانفصال عن العالم المعاصر. وهو ما سعت أوروبا إلى التغاضي عنه في محاولتها التخفيف من تأثير الانسحاب الأميركي من الاتفاق النووي من أجل إبقاء إيران في دائرة السيطرة.

تلك محاولة فيها الكثير من التفاتك السياسي والكذب المفضوح. وهو ما سيصطدم الأوروبيون به حين يسعون إلى فهم أسباب إسقاط الطائرة الأوكرانية. فإذا ما كانت إيران قد اعترفت رسمياً بمسؤوليتها عن إسقاط الطائرة المدنية، فإن ذلك الاعتراف انطوى على تبرير ملغى القى باللائمة على الولايات المتحدة التي هددت كما يقول بيان الاعتراف بأنها ستضرب الأراضي الإيرانية إذا ما لجأت إيران للانتقام لمقتل سليمان. ذلك عذر أقبح من ذنب كما يقال. وهو عذر ليس صحيحاً.

في اليمن بتبني ذلك الاعتداء الذي تبين في ما بعد أنه كان إيرانياً. كما أن الاعتداء على السفارة الأميركية ببغداد كان مدبراً من قبل إيران، وهو ما كان السبب المباشر في مقتل قاسم سليمان الذي كتب اسمه على جدار السفارة "سليمان قاتلنا".

خرجت إيران من أزمة مقتل سليمان من خلال ناز صوري مارسه حين سمحت لها الولايات المتحدة بإلقاء عدد من صواريخها على الأراضي العراقية من غير أن تقع أي أضرار بشرية أو مادية على الجانب الأميركي. تلك صفحة طويت كما صرح وزير خارجية النظام الإيراني محمد جواد ظريف.

غير أن صفحة قصف المنشآت النفطية السعودية لم تطو بعد. لذلك يعد فتح صفحة جديدة للإهاب من خلال إسقاط الطائرة الأوكرانية نوعاً من الجنون. وما يقال من أن الطائرة قد أسقطت بشكل غير متعمد لا يمكنه أن يتستر على الجريمة التي قد يكون النظام الإيراني قد ارتكبها متعمداً. هل تحتاج إيران إلى أن يمتلئ سجلها العالمي بجرائم جديدة؟ شيء

فاروق يوسف
كاتب عراقي



لا أحد في إمكانه أن يصدق أن دولة ما تلجأ إلى إسقاط طائرة مدنية. إنه نوع من الجنون. وهو جنون يقع على ضفة المستحيل. غير أن ذلك ما حدث فعلاً.

هناك صاروخ أرض - جو أطلق من الأراضي الإيرانية وأسقط طائرة أوكرانية بعد دقائق من تحليقها من مطار طهران. ولأن ذلك الحدث كان مروّعاً وغير مسبوq، فإن هناك من يامل أن لا يكون حقيقياً. هو أشبه بالكابوس الذي يرغب المرء في أن ينتهي. ولكن إيران التي أنكرت لأيام مسؤوليتها عن الحادثة المساوية ثم عادت واعترفت، هي ليست محل ثقة من جهة ما يشككها نظامها السياسي من أخطار على السلم العالمي. لقد سبق لها وأن قصفت المنشآت النفطية السعودية وكلفت أتباعها